

البداية والنهاية

بناؤها قال فما وضعت عليها لبنه قال فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور وقال ابن أبي الدنيا حدثني عبد الله بن يونس بن بكير الشيباني عن أبيه عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري عن أبي بشير الشيباني قال شهدت الجمل مع مولاي فما رأيت يوما قط أكثر ساعدا نادرا وقدما نادرة من يومئذ ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال فحدثني الحكم بن عيينه أن على دعا يوم الجمل فقال اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسن رضي الله عنه قال ابن أبي الدنيا حدثنا على بن الجعد أنا عمرو بن شمر حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أراكة يقول صليت مع على صلاة الفجر فلما إنفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال والله لقد رأيت أصحاب محمد A فما أرى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعنا غبرا بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد بانوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يتراوحن بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين ثم نهض فما رأى بعد ذلك مفترا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم عن على بن أبي طالب أنه قال تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا تكونوا من أهله فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المذابيع البذر ثم قال ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة إن الآخرة قد أتت مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ألا إن عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلصين وأهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أيام قليلة لحقي راحة طويلة أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله في فكاه رقابهم وأما النهار فظماء حلماء بررة أتقياء كأنهم القداح ينظروا إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم وعن الأصمغ بن نباتة قال سعد على ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال عباد الله الموت ليس منه فوت إن أقمت له أخذكم وإن فررت منه أدرككم فالنجا النجا والوحا الوحا إن وراءكم طالب حثيث القبر فاحذروا ضغطته وظلمته

ووحشته ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض